التحية السابعة:

تحت عنوان: **(وداعاً فارس بيروت العروبة)**

بقلم الأستاذ المشارك الدكتورة: نضال سليمان الإمام

أستاذة الحضارة العربية الإسلامية في الجامعة اللبنانية الدوليةliu

بيروت الصامدة الصابرة الشامخة تذرف دموع الحزن على رحيلك أيها الحارس الأمين المؤتمن على ثوابتها وقيمها العربية الأصيلة.

بيروت تفتقدك نبراسا يضيء عتمة ليلها الطويل، ودروبها المتشعبة تفتش عنك لترسم لها إشارات الخط المستقيم.

وتبكي المنابر على من كان يزودها بمعين فكره وواسع علمه، وتتلعثم الأقلام تأبى أن تبكيك أو ترثيك.

أما طلابك في لبنان وكل البلدان العربية فقد هالهم مجرد التفكير أن يخلو مكتبك في جامعة بيروت العربية، وأن تتخلف عن استقبالهم على غير عادتك، لتوجههم وتسدد خطاهم وتصحح لهم ما علق بأذهانهم من وساوس زمن الردة وآفاته، حيث كنت المرجع الجامع، والقلب الواسع، تنصح دون أن تجرح وتتواضع دون أن تتساهل، وكنت صديقا لكل طلابك على مختلف انتماءاتهم السياسية، وأشهد أنك كنت ترفض لوثة «من ليس معنا فهو ضدنا»، وكنت محاوراً راقياً إلى أبعد الحدود.

لم تأخذ حقك من هذه الدنيا كما يجب لأمثالك من المخلصين لمجتمعاتهم، الساعين بكل صدق وأمانة، ونكران للذات، في سبيل تطوير وتقدم مؤسساتهم، وحسبك أن الله

لا يضيع مثقال ذرة من الخير. وما غادرت بيروت طائعاً، بل لازمتها في كل أزماتها ومصائبها، فكان رحيلك أصعب مآسيها.

كان الأستاذ الدكتور حسان حلاق، صاحب منهج علمي في كتابة التاريخ يعتمد أسلوب البحث المعمق وسبر أغوار الحقيقة، وكان كثير الاهتمام بالوثائق والتوثيق، فلا تمر أية معلومة إلا ويسأل الطالب عن المصدر وهل هذا المصدر يصلح لاعتماده لجهة المصداقية والبعد عن الأهواء سواء أكان الذي أوردها موتورا أم منتفعا . ومن ثم ينصح بتحري الدقة والأمانة العلمية وعدم إقحام الأهواء الشخصية في كتابة النص التاريخي، مستشهدا دائما وأبدا بالآية الكريمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾ صدق الله العظيم ((1)).

وبهذا المنهج استخرج وحقق ونشر سجلات المحكمة الشرعية في بيروت، وأصدر عدة كتب وعدة دراسات معتمدا على هذه السجلات التي هي مصادر غير مباشرة لتأريخ بيروت وعائلاتها، فكان كتاب «**أوقاف المسلمين في بيروت في العهد العثماني – سجلات المحكمة الشرعية**»، و«**التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بيروت والولايات العثمانية – سجلات المحكمة الشرعية**». ثم كتاب «**بيروت المحروسة في العهد العثماني**»، وفي زمن لاحق «**الأوضاع الشرعية والقانونية لأوقاف المسلمين والمسيحيين في لبنان في العهد العثماني** وهي وثائق تنشر للمرة الأولى» وبشكل موازٍ ومتتابع، ستظهر مجموعة أخرى من الأعمال التي تؤرخ لشخصيات بيروتية، فكرية واجتماعية، ودائماً بالاستناد إلى وثائق الشخصية ذات العلاقة وأوراقها الخاصة. وتضم مكتبته الوثائقية حوالي مائة ألف وثيقة غير منشورة. ولكم كان يشجعني على البحث في سجلات المحكمة الشرعية في البقاع، ويساعدني بكل جهده في الاستحصال على الأذونات اللازمة من المراجع المختصة، وتلبية لرغبته قمت بإنجاز بحث بعنوان: «**تاريخ البقاع الاقتصادي والاجتماعي من خلال وثائق المحكمة الشرعية**» حيث أخذه مني باهتمام كبير واحتفظ به في خزانة مكتبه الخاصة.

في كتابه «**مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة 1936**» تناول مناقشات المؤتمر الذي عقد في دار سليم علي سلام في 10 آذار عام 1936، والقرارات الصادرة عنه والتي طالبت بإقامة الوحدة السورية، معتمدا أيضا على كل نصوص ووثائق المؤتمرات

(1) سورة الحجرات : الآية 6

الوحدوية منذ عام 1920 وحتى عام 1936. ومع أن معظم الأعضاء المشاركين هم من المدن والأقضية التي سلخت عن سوريا والتي كانت ترى في هذا الانسلاخ ضررا شديدا لها وللبلاد جميعا من مختلف نواحي الحياة، وهي تستمر بالاحتجاج على هذا الانسلاخ في كل مناسبة، وتؤكد اقتناعها التام بضرورة تحقيق الوحدة السورية، فإنه رصد في هذا المؤتمر الذي كان آخر مؤتمر وحدوي عقد في لبنان بداية ظهور جملة من التراجعات والتنازلات الإسلامية وفي مقدمتها الانكفاء عن طلب الوحدة، وشعر المسلمون لا سيما سكان الساحل (بيروت، صيدا، صور، طرابلس) أنه لا بد من الاعتراف بلبنان الكبير مشترطين إقامة العدل والمساواة بينهم وبين الطوائف المسيحية، وبأن قطعهم للقسم الأسفل من تذكرة هويتهم اللبنانية والتي كتب عليها «أن حاملها هو لبناني» لم يفدهم أو يغير من واقع الحال شيئاً، وتغاضوا في الوقت نفسه عن القسم الأعلى من تذكرة الهوية الذي كتب عليه عبارة «دولة لبنان الكبير».

وأذكر كم كانت سعادتي غامرة عندما قدمت له رسالتي في الماجستير: «**التيارات السياسية في البقاع 1943- 1970**»، والتي كانت تحت إشرافه، هو والأستاذ الدكتور محمد علي القوزي، عندما أبدى اهتماما كبيرا بالوثيقة التي أوردتها عن مؤتمر وحدوي عقد بتاريخ 1936-7-26م في بلدة «لالا» البقاعية في دار السيد علي أحمد طربين وأطلق عليه مؤتمر البقاع وراشيا، وضم مجموعة من وجهاء مفكري البقاع وراشيا. وكان من مقررات هذا المؤتمر طلب الوحدة السورية لدى المراجع الوطنية والفرنسية، باعتبار أن البقاع، وراشيا، وبقية الأقضية الأربعة وحدة لا تتجزأ عن أمها سوريا التي سلخت عنها قهرا، وبقرار المفوض السامي الفرنسي، دون رغبة سكانها، وأن الالتحاق بسوريا أمنية كل فرد من أفراد البقاع وراشيا وتوابعها.

أما أطروحة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، والتي نال عليها مرتبة الشرف الأولى في جامعة الإسكندرية عام 1981، فكانت بعنوان: «التيارات السياسية في لبنان 1943-1952»، فقد قدم فيها دراسة معمقة وشاملة لكل الاتجاهات الطائفية والسياسية والحزبية والاجتماعية والاقتصادية في لبنان. وكانت غنية جداً بالمعلومات المهمة عن تشكل مواقف السياسيين اللبنانيين من السياسات العربية والدولية، وعن العلاقات اللبنانية -العربية-الدولية. وخاصة في موقف لبنان من القضية الفلسطينية، ومن مشروع إنشاء جامعة الدول العربية، ومشاريع سورية الكبرى والهلال الخصيب والوحدة العربية، كما

يبحث في موقف لبنان من السياسة الدولية ومشاريع الدفاع المشترك والأحلاف الغربية الاستعمارية، ويركز على صيغة الميثاق الوطني، معتمدا على الوثائق والمستندات اللبنانية والعربية والأجنبية.

ولقد أبرزت هذه الدراسة مدى التناقض والانقسامات الحادة بين الفئات والطوائف والأحزاب اللبنانية، حتى في تحديد «هوية لبنان» فبعض اللبنانيين يؤكد عروبة لبنان، بينما ينكرها البعض الآخر، وبعضهم يرى أن إسرائيل هي حليفة طبيعية، بينما الآخرون يعتبرونها ألد أعدائهم.

وخلص الدكتور حلاق الى نتيجة مهمة جدا هي: « أنه طالما هذه التيارات السياسية الطائفية متحكمة بمصير لبنان، فإنه لن ينعم بالاستقرار السياسي الذي يمثل أهم حاجات البلاد، بل إنه مستحيل في المستقبل القريب، بسبب سيطرة المصالح الفئوية والطائفية لمعظم الزعامات اللبنانية، وتمسكهم باتجاهاتهم ومواقفهم المتناقضة.

يأبى قلمي أن يرثيك أو يبكيك، وتعجز كلماتي أن توفّيك حقك يا أستاذي ومعلمي وقدوتي، فتتوه عباراتي بين الصفحات تفتش عن آخر وصاياك تستلهمها وتتقرب بها إلى الله أن يرحمك ويغفر لك ويجعل مأواك الفردوس الأعلى من الجنة مع الأبرار والصالحين.. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وها أنت عندما تستغفر الله لا تنسى أن تشرك جميع من حولك بهذه العبادة حيث كانت آخر وصاياك ما كتبته في بيروت المحروسة بتاريخ 30 كانون الثاني عام 2023 :

(عباد الله لا تيأسوا من رحمة الله

سواء كنت مذنباً او مريضاً او مرتكباً او منحرفاً او متورطاً في اي امر سلبي فقد أمرك الله أن لا تقنط اي لا تيأس من رحمة الله فالمهم ان تتوب توبة نصوحا لأن الله يغفر الذنوب جميعاً وقد أكد بقوله تعالى: ﴿ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ ﴿٥٣﴾ ﴾ صدق الله العظيم سورة الزمر الآية 53

انطلاقاً من هذه الآية الكريمة ومن هذا الموقف الرباني الصريح فهو يطلب منك أن لا تيأس إطلاقاً لأن الله يغفر الذنوب جميعا لأنك عدت الى رشدك وتبت توبة نصوحا.

إنه رب كريم وكرمه أكثر من أن يحصى، فالمهم التوبة قبل مغادرة الحياة، وفي الوقت نفسه يطلب منك عدم اليأس من رحمة الله وهو غفور رحيم سارعوا إلى هذه الخيرات الربانية.)

مع تحيات الدكتور حسان حلاق.